...لأن السياسيين كذبوا!

30-9-2003

لن يمر الإستعمار الجديد للعراق بدون عوائق، والمقاومة في ذلك البلد وفي فلسطين ليست "جنونا إسلامياً" كما يحلو للدعاية الإسرائيلية والغربية تصويرها، ففي الحالتين كلتيهما يتعلق الأمر بنتيجة مباشرة للإحتلال. والتفسير الوحيد الذي قدمته وكالات الانباء الغربية للمقاومة هو ان الامر يتعلق بفلول النظام القديم.

لن يمر الإستعمار الجديد للعراق بدون عوائق، والمقاومة في ذلك البلد وفي فلسطين ليست "جنونا إسلامياً" كما يحلو للدعاية الإسرائيلية والغربية تصويرها، ففي الحالتين كلتيهما يتعلق الأمر بنتيجة مباشرة للإحتلال. والتفسير الوحيد الذي قدمته وكالات الانباء الغربية للمقاومة هو ان الامر يتعلق بفلول النظام القديم.

وقد ناقضت واشنطن مؤخرا هذه الدعاية، عندما قررت تجنيد الفلول الحقيقية لجهاز النظام القديم - الشرطة السرية - وذلك في محاولة منها لإخفاء أثر منظمات المقاومة التي وصل عددها في هذه اللحظة إلى أكثر من 40 مجموعة مختلفة، أما التظاهرات التي تشهدها البصرة وارتفاع القتلى في صفوف الجنود البريطانيين فإنها تشكل مؤشرا واضحا على أن هذه المعاقل القديمة المناهضة لصدام مستعدة الآن للإلتحاق بالنضال.

لقد هز الإعتداء على مقر الأمم المتحدة في بغداد، لكن حسب ما ذكر جيمي طرابيه من وكالة اسوشيتيد برس في تقرير مرسل من العاصمة العراقية مؤخرا، فإنه يوجد بين العراقيين شعور مزدوج عميق تجاه الأمم المتحدة. وعمليا ينظر إلى الأمم المتحدة في العراق على أنها إحدى المؤسسات الأكثر تعصبا لواشنطن. فهي التي أشرفت على العقوبات التي كانت مسئولة بشكل مباشر عن موت نصف مليون عراقي، وعن ارتفاع رهيب في معدل الوفيات عموما. وفي إشارة احتجاج، أدان موظفان مرموقان من الأمم المتحدة هما دينس هاليداي وهانز فون سبونيك تلك السياسة، عندما أوضحا أن الأمم المتحدة لم تلتزم بواجبها اتجاه الشعب العراقي.

وفي الوقت نفسه أسقطت الولايات المتحدة وبريطانيا اعتبارا من عام 1992 وبإقرار من الأمم المتحدة مئات الأطنان من القنابل وآلاف من الصواريخ على العراق، وفي عام 1999 ذكر مسئولون أمريكيون وبهدوء لصحيفة "وول ستريت جورنال" أن الأهداف كانت قد انتهت بالنسبة لهم. وفي عام 2001 كان قصف العراق قد دام أكثر من الغزو الأمركي في فيتنام. لهذا السبب بالذات لا ينظر الكثير من العراقيين بعين الإحترام إلى الأمم المتحدة، أما قرار مجلس الأمن الأخير الذي أقر العدوان بأثر رجعي والذي يعد انتهاكا مباشرا لرسالة الأمم المتحدة فلم يترتب عنه سوى زيادة في غليان الشارع العراقي، وكل ذلك يؤدي بنا إلى التساؤل عما اذا كانت الامم المتحدة اليوم شيئا أكثر من جهاز تنظيف بالنسبة للإمبراطورية الأمريكية.

لقد بدأت نتائج المقاومة تؤتي أُكلها بالبلدين المحتلين، فهذا الإستطلاع الأخير الذي أجرته "نيوزويك" يكشف أن مؤشر استحسان أداء الرئيس بوش هبط بـ 18 نقطة ليصل إلى 53 بالمئة وأنه لأول مرة منذ 11 سبتمبر تتخطى الأصوات عتبة 49 بالمئة التي تقول أنه لا يروق لها أن يعاد انتخابه.

وحاليا في بريطانيا، يعتبر أكثر من ثلثي السكان أن توني بلير كذب عليهم بشأن العراق، ويتقاسم وجهة النظر هذه شخصيات مهمة في المؤسسة البريطانية حيث تزايد القلق في القوات المسلحة قبل الحرب، كما أن بعض الجنرالات لم يكونوا راضين كثيرا عن مشهد رئيس وزرائهم في البيت الأبيض، بينما كانت الإستعدادات قائمة على قدم وساق لإرسال ثلث الجيش البريطاني للمساعدة على احتلال إحدى أقدم وأكبر المستعمرات البريطانية في المنطقة.

وبعيد السيطرة على بغداد، كتب السير رودريك براينوايت، المسؤول القديم للجنة المخابرات المشتركة ومستشار بلير القديم للأمن القومي، رسالة لصحيفة "فايننشال تايمز" اتهم فيها بلير بأنه اختلق عمدا قصة حربية لإفزاع شعب مرتاب أصلا بشأن الحرب على العراق. ولقد بلغ السخط داخل المؤسسة ذروته مع الإنتحار المزعوم للدكتور ديفيد كيلي، العالم البارز في وزارة الدفاع البريطانية، وذلك بعد أن أُجبر على الخضوع لتحقيق قضائي، وهذا أسلوب علاج شائع جدا في أوساط الطبقة الحاكمة الإنجليزية، كما تم التحقيق مع بلير مؤخرا من قبل القاضي هاتون. ويتم الحديث الآن عن تقديم وزير الدفاع جيف هون، ككبش فداء لتهدئة روع الجمهور، لكن ما الذي يحدث إن رفض الوزير أن يُضحى به وحده؟.

وماذا عن استراليا؟ لقد تمكن رئيس الوزراء هناك من سحب جنوده قبل أن تبدأ المقاومة، فلقد احتاجهم بشكل طارىء في جزر سولومون. ومثل بلير، كرر جون هوارد الأكاذيب لتبرير الحرب ومثل بلير أيضا، فإن معارضته الرسمية يقودها سياسي رعديد غير كفء ويخاف حتى من ظله. وفي يوم ما عندما يتساءل أطفال العراقيين والأمركيين الأموات، لماذا مات آباؤهم سيكون الجواب : لأن السياسيين كذبوا.

للعودة للأعلى